

قِرَاءَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقُرْآنِ فِي الْمَهْدِ

(رواية إنكار إمكانية قراءة الإمام علي عليه السلام القرآن وهو في المهد)



قِرَاءَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنِ فِي الْمَهْدِ

(ردّ إنكار إمكانية قراءة الإمام علي عليه السلام القرآن وهو في المهد)

مركز الغوث للدراسات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م



مركز الغوث للدراسات

لبنان - جبل عامل

٠٠٩٦١٧٨٩١٦٥٤١

٠٠٩٦١٧٦٦٨٢٤١٩

markazalghowth@gmail.com

تلكرام وفابيس بوك: markaz_alghowth

الشبهة:

هل علي عليه السلام قرأ القرآن كله حين ولادته أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجره. وهل هذا كلام من المسلمات؟! خاصة وأن الحق قال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ^١﴾ وقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ^٢﴾ وهذان دليلان ينفيان علم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام بالقرآن قبل نزوله، فكيف يعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله الوحي قبل نزول الوحي؟

^١ - القصص: ٨٦.

^٢ - الشورى: ٥٢.

الرد:

أما فيما يتعلق بتكلم الإمام علي عليه السلام بالقرآن في المهد، حيث ورد في رواية ولادته المباركة:

[...] قال: فلما رآه أبو طالب سرّاً، وقال له علي عليه السلام: السلام عليك يا أبة ورحمة الله وبركاته. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما دخل اهتز له أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. قال: ثم تنحج بإذن الله تعالى وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ إلى آخر الآيات. فقال رسول الله ﷺ: قد أفلحوا بك وقرأ تمام الآيات إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿^٣ ...

وقال العلامة المجلسي في بحاره: وَرَدَ فِي أَخْبَارِ وَلَادَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَأَ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ وَلَادَتِهِ^٤.

وفي رواية صحيفة الأبرار، قال أبو طالب عليه السلام: [...] ثم أخذه محمد بن عبد الله ابن أخي من يدهن ووضع يده في يده، وتكلم معه

^٣ - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٣٥ ص ٣٧

^٤ - بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧٩

وسأله عن كل شيء، فخطب محمد صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأسرار كانت بينهما [...] فلما فرغ من المناظرة مع محمد ابن أخي ومن مناظرتي، عاد إلى طفوليته الأولى ..

فأين المشكلة في ذلك وقد ذكر القرآن الكريم أن عيسى تكلم في المهد، بل كان نبياً حينها وأعطاه الله الكتاب.. قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا^٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ^٦..﴾ وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ^٧﴾.

فكيف حال من كان ولياً وأدم بين الماء والطين؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت ولياً وأدم بين الماء والطين^٨.

أما يمكن أن ينطق بالكتاب في المهد؟ أما يمكن ذلك وهو أفضل من نبي الله عيسى؟ حيث قال النبي الاعظم صلى الله عليه وآله:

^٥ - صحيفة الأبرار ج ٢ ص ١٤ ح ٢

^٦ - مريم: ٢٩ و ٣٠

^٧ - المائدة: ١١٠

^٨ - آل عمران: ٤٥ و ٤٦

^٩ - جامع الاسرار ص ٣٨٢-٤٦٠ ح ٧٦٣-٩٢٧، والانسان الكامل ص ٧٧، والمراقبات ص ٢٥٩

يا علي ان الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأنمة من بعدك^{١٠}.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله صعصعة بن صوحان: أنت أفضل، أم عيسى بن مريم؟ فقال عليه السلام: عيسى كانت أمه في بيت المقدس، فلما جاءت وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجي، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأما أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم، انشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول لها: ادخلي، ودخلت في وسط البيت و أنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي^{١١}.

وعن الإمام أبي الحسن الأول عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله، ولا خلق خلقاً بعد محمد أفضل من علي عليه السلام^{١٢}.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفؤ في وجه الأرض آدم فمن دونه^{١٣}.

^{١٠} - علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق

ج ٢ ص ٢٣٧

^{١١} - اللعة البيضاء ص ٩٩

^{١٢} - الاختصاص للشيخ المفيد ص ١٨

^{١٣} - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٩

ثم إن ذاك الطفل الشاهد ليوسف (وهو ليس بنبي ولا وصي)، حين اتهمته زليخة بالزنا، كان في المهد.. حيث قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^{١٤} وجاء بالتفسير عن الامام أبي جعفر عليه السلام في رواية طويلة: [...] فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: وَإِلَهُ يَعْقُوبَ مَا أَرَدْتُ بِأَهْلِكَ سُوءًا هِيَ رَاوَدَتْني عَنْ نَفْسِي، فَسَلَّ هَذَا الصَّبِيَّ أَتَيْنَا رَاوَدَ صَاحِبَهُ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ: وَكَانَ عِنْدَهَا صَبِيٌّ مِّنْ أَهْلِهَا زَانِرٌ فِي الْمَهْدِ- [فَقَالَ: هَذَا طِفْلٌ لَمْ يَنْطِقْ فَقَالَ: كَلِمَةً يُنْطِقُهُ اللَّهُ فَكَلَّمَهُ فَأَنْطَقَ اللَّهُ] لَهَا- فَأَنْطَقَ اللَّهُ الصَّبِيَّ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَقَالَ- لِلْمَلِكِ: انْظُرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى الْقَمِيصِ- فَإِنْ كَانَ مَقْدُودًا مِنْ قُدَّامِهِ فَهُوَ رَاوَدَهَا، وَإِنْ كَانَ مَقْدُودًا مِنْ خَلْفِهِ فَهِيَ الَّتِي رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَصَدَقَ وَهِيَ مِنَ الْكَاذِبِينَ^{١٥}.

وقال جملة من مفسري المخالفين بهذا الوجه من التفسير:

ففي تفسير الطبري (متوفى ٣١٠هـ):

عن ابن عباس، قال: تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام.

^{١٤} - يوسف: ٢٦ و ٢٧

^{١٥} - تفسير العياشي ج ٢ ص ١٧٤

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: عيسى، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، يعني: تكلموا في المهد.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا زائدة، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبیر: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾، قال: صبي.

وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبیر: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال: كان في المهد صبياً.

وحدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أيوب بن جابر، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبیر، في قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال: صبي.

وحدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبیر، بمثله.

وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع؛ وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبیر، قال: كان صبياً في مهده.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن هلال بن يساف: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال: صبي في المهد.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أبي مرزوق، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾، قال: صبي أنطقه الله. ويقال: ذو رأي برأيه.

وحدثنا الحسن بن محمد، قال: أخبرنا عفان، قال: حدثنا حماد، قال: أخبرني عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "تكلم أربعة وهم صغار"، فذكر فيهم شاهد يوسف.

وحدثت عن الحسين بن الفرج . قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ يزعمون أنه كان صبياً في الدار.

وحدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عمي. قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾، قال: كان صبياً في المهد^{١٦}.

وفي تفسير البغوي (متوفى ٥١٠هـ):

قال سعيد بن جبير، والضحاك: كان صبياً في المهد، أنطقه الله عز وجل، وهو رواية العوفي، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "تكلم أربعة وهم صغار": ابن ماضطة ابنة

^{١٦} - تفسير الطبري للآية ٢٦ من سورة يوسف

فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام. وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال المرأة^{١٧}..

وفي تفسير القرطبي (متوفى ٦٧١هـ):

أنه طفل في المهد تكلم؛ قال السهيلي: وهو الصحيح؛ للحديث الوارد فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة... وذكر فيهم شاهد يوسف. وقال القشيري أبو نصر: قيل فيه: كان صبيا في المهد في الدار وهو ابن خالتها؛ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تكلم أربعة وهم صغار... فذكر منهم شاهد يوسف^{١٨}..

فهل من الصعب على الله أن يُنطق أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن وهو نفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بصريح القرآن^{١٩} ومن هو عين نوره الأولي صلى الله عليه وآله^{٢٠}؟ علماً أن هذا الطفل الشاهد قد

^{١٧} - تفسير البغوي للآية ٢٦ من سورة يوسف

^{١٨} - تفسير القرطبي للآية ٢٦ من سورة يوسف

^{١٩} - في محاجة نصارى نجران لم يكن مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلا الإمام علي عليه السلام وقد عيّرت عنه النبي صلى الله عليه وآله بـ: "أنفسنا" حيث قال تعالى: **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** (آل عمران: ٦١)

^{٢٠} - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **خَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ**. وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال للإمام علي عليه السلام: **خَلَقْتُ أَنَا وَأَنْتَ مِنْ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى**. وعنه صلى الله عليه وآله: **أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ، وَأَنَا وَإِيَاهُ شَيْءٌ وَاحِدٍ، وَإِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَحْمُهُ لَحْمِي، وَدَمُهُ دَمِي، يَرِينِي مَا أَرَاهُ، وَيَرِيهِ مَا أَرَانِي**. وعنه صلى الله عليه وآله: **خَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ أَبِي طَالِبٍ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ، نَسَبُ اللَّهِ يَمْنَةُ الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِي عَامٍ**. وعنه صلى

نطق بآية من القرآن وهو في زمن يوسف، من قبل البعثة، حيث أنّ القرآن نقل كلامه.. فلماذا كلّ تلك الأمور تُأخذ مأخذ المسلّمات وحين تصل المسألة إلى أهل بيت النبوة عليهم السلام تُطرح الإشكالات؟ فهل عيسى أعز وأفضل عند الله من الإمام علي عليه السلام؟! وهل ذلك الطفل الذي كان في زمن الفراعنة أعزّ وأفضل عند الله تعالى من الإمام علي عليه السلام؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟﴾ إنّ تلك الشبهات وهذا الأسلوب منها كان منذ زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وكان يؤذيه:

فعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمد عليهم السلام اشمأزت قلوبهم؟!^{٢١}

الله عليه وآله: كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم. والروايات في ذلك كثيرة (راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ للمجد الريشهري ج ٨ ص ٦٤) أما من كتب المخالفين: حدثنا الحسن قتنا أحمد بن المقدم العجلي قتنا الفضيل بن عياض قتنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان قال سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزعين فجزء أنا وجزء علي عليه السلام. (مسند أحمد: فضائل الصحابة ج ٢ ص ٦٦٢)

^{٢١} - الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٤٠

بل ليس الإمام علي عليه السلام هو "كلام الله وقرآنه الناطق"^{٢٢} وهو أعظم من الصامت؟ فأين المشكلة إن نطق بالقرآن الصامت في المهد؟

ثم ألم يذكر القرآن الكريم أنّ كلّ شيء قد أحصاه الله في إمام مبين: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^{٢٣} وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أنا والله الامام المبين^{٢٤}. ونقل الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالوا: فهو الإنجيل؟ قال: لا قالوا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنه الامام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء^{٢٥}.

^{٢٢} - عن الإمام علي عليه السلام - لَمَّا أَرَادَ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ يَجْعَلُوا الْقُرْآنَ: أَنَا الْقُرْآنُ النَّاطِقُ. (بناييع المودة ج ١ ص ٢١٤ ح ٢٠) وعنه عليه السلام: أَنَا كَلَامُ اللَّهِ النَّاطِقُ. (بحار الأنوار ج ٨٢ ص ١٩٩) وعنه عليه السلام: هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الصَّامِتُ، وَأَنَا الْمُعَبَّرُ عَنْهُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ النَّاطِقِ، وَذَرُّوا الْحُكْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ الصَّامِتِ؛ إِذْ لَا مُعَبَّرَ عَنْهُ غَيْرِي. (العمدة ص ٣٣٠ ح ٥٥٠) وعنه عليه السلام: يَا بَنَ أَبِي سُفْيَانَ، أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَى الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَنَا كِتَابُهُ النَّاطِقُ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ وَالْأَمْرُ الْغَرِيبُ. (إرشاد القلوب ص ٢٤٩، وراجع العمدة ص ٣٣٠ ووسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٣٤ ح ٣٣١٤٧ وفيه «هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق»)

^{٢٣} - يس: ١٢

^{٢٤} - تفسير القمي ص ٥٤٨

^{٢٥} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٣٥ ص ٢٨٨

والقرآن من تلك الأمور التي أحصيت في هذا الإمام المبين الذي هو أمير المؤمنين عليه السلام، ولا فرق بالعمر عند المعصوم إذا ما كان طفل أم كبير فقد تكلم عيسى بالمهد وأوتي يحيى الحكم صبياً: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^{٢٦}، وقد بينا في ردّ سابق على هذه المسألة حتى أثبتناها من كتب المخالفين^{٢٧}. أما في شأن تكلم أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن فلا يسع المخالفين إنكار هذه الفضيلة حيث أنهم وضعوها بغيره عليه السلام في صحاحهم وذكرها علمائهم وهي به أولى، ونحن ننقلها لإلقاء الحجة عليهم وإن كنا لا نقرّ بها:

قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ^{٢٨}.

وأخرج البخاري وغيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في

^{٢٦} - مريم: ١٢

^{٢٧} - راجع جواب السؤال ٦٥ من كتاب: "[الرد على شبهات الفرق والمقاتلات](#)"

^{٢٨} - صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٣٩٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الغيرة فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن، فنزلت كذلك^{٢٩}.

وعن ابن أبي ليلى قال: إنَّ يهوديًّا لقي عُمرَ فقال: إنَّ جبريلَ الذي يذكرُ صاحبكم عدوًّا لنا، فقال عمرُ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ إِلَى الْكَافِرِينَ قَالَ: فنزلت على لسان عُمر^{٣٠}.

قال ابن عمر: ما نزل بالنَّاس أمرٌ قطَّ [...] إلا نزل فيه القرآن على نَحْوِ ما قال عُمر^{٣١}.

وقال المناوي في فيض القدير: قد تكلم امرؤ القيس بالقرآن قبل أن ينزل! فقال: يتمنى المرء في الصيف الشتاء، حتى إذا جاء الشتاء أنكره، هو لا يرضى بحال واحد، قُتِلَ الإنسان ما أكفره. وقال: اقتربت الساعة وانشق القمر، من غزال صاد قلبي ونفري. وقال: إذا زُلزِلَت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها تقوم الأنعام على رسلها، ليوم الحساب ترى حالها^{٣٢}.

^{٢٩} - صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٤٠٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

^{٣٠} - أخرجه ابنُ أبي حاتم في تفسيره ج ١ ص ١٨٢. قال ابنُ حجر في فتح الباري ج ٨ ص (١٦): له طُرُقٌ يَقْوِي بعضها بعضًا.

^{٣١} - سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٣٦٨٢ | خلاصة حكم المحدث: حسن غريب من هذا الوجه

^{٣٢} - فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٣٦

فإنكارهم لتلك الفضيلة بحق أمير المؤمنين عليه السلام وقد أقرّوا بها لغيره مع أفضليته عليهم إلى حد أن لا يقاس بهم^{٣٣} لعظم شأنه، لا يدلّ إلا على تعصّبهم وجهلهم.

أما ما يتعلّق بالآيتين والاستدلال بهما على نفي علم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بالقرآن قبل نزول الوحي، ففيه كلام أن كل ما ورد في القرآن ويُستشعر منه النقص في مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، يجب أن يُؤوّل وأن يُحمل على محمل حسن بل على أفضل المحامل^{٣٤}، لأنّ لكلام الله تعالى وكلام أهل البيت

٣٣- أخبرنا محمد بن أبي منصور. قال: أنا محمد بن ميمون، قال: أنا محمد بن علي بن عبد الرحمن، قال ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري، قال: سمعت أبا الحسن أحمد بن أبي القاسم بن الريان قال، سمعت عبد الله بن ابن حنبل يقول: حدث أبي بحديث سفينة فقلت: يا أبة ما تقول في التفضيل؟ قال، في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان. فقلت فعلي بن أبي طالب؟ قال، يا بني علي بن أبي طالب أهل البيت لا يقاس بهم أحد. (أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد ١٦٣) وقد جاء في رواية عند أبي العباس الطبري قال رجل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن: فعلي كرم الله وجهه قال ابن عمر: علي من أهل البيت لا يقاس بهم، علي مع رسول الله ﷺ في درجته أن الله عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فاطمة مع رسول الله ﷺ في درجته وعلي مع فاطمة الزهراء عليها السلام. (الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٥) ويؤيده حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد. (أخرجه أبو شجاع الديلمي في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٢٨٣ ح ٦٨٣٨؛ والمحب الطبري في ذخائر العقبى ١٧ - وقال: أخرجه الملا). وقد جاء في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لا يقاس بآل محمد عليهم السلام من هذه الأنمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفى الغالي، و بهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. (المسانيد لعبد حياة الأنصاري ج ٢ ص ٥٣)

٣٤- قال عليه السلام: القرآن ذنول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن الوجوه. (عوالي اللآلي ج ٤ ص ١٠٤)

عليهم السلام وجوه، فكما أنّ أحد وجوه كلامهم: التقية، ومن وجوه كلامهم "المحكم والمتشابه"، كما عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال: **إن في أخبارنا متشابهها كمتشابه القرآن، ومحكما كمحكم القرآن، فردوا متشابهها دون محكمها**^{٣٥}. ومنها ما صدر بناءً لمستوى عقول البشر فقال النبي صلى الله عليه وآله: **إنّا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم**^{٣٦}. ومنها ما صدر بناءً لمعاني كلمات معيّنة مخالفة للمعنى المتعارف عليه: كتسميته صلى الله عليه وآله بالأمي، فذهب القوم للقول بأنه لم يكن يعرف الكتابة ولا القراءة بينما أوضح أهل البيت عليهم السلام أنّ المقصود فيها أنه من "أم القرى"، وكيف يكون أمياً بالمعنى الأوّل وقد بعثه تعالى يعلمهم الكتاب والحكمة؟

لقد روى الصفار بسنده عن علي بن أسباط أو غيره قال: قلت لأبي جعفر (الإمام الجواد) عليه السلام: **إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ لم يكن يكتب ولا يقرأ؟! فقال عليه السلام: كذبوا لعنهم الله! أتى ذلك وقد قال الله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فيكون أن يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟! قال: قلت: فلم سُمّي النبي ﷺ أمياً؟ قال عليه السلام: لأنه**

^{٣٥} - عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٢٦١

^{٣٦} - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٣

نُسِبَ إلى مكة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فأُمّ القرى مكة، فقيل أُمِّي لذلك^{٣٧}.

كذلك من تلك الوجوه: وجه "إياك أعني واسمعي يا جارة":

فعن الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ بِإِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ^{٣٨}.

وعنه عليه السلام: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة^{٣٩}.

وعنه عليه السلام: ما عاتب الله نبيّه فهو يعني به من قد مضى في القرآن مثل قوله: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ عني بذلك غيره^{٤٠}.

وعن الإمام الرضا عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾:- هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة... وكذلك قوله عز وجل: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك...﴾ وقوله عز وجل: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم﴾^{٤١}...

^{٣٧} - بصائر الدرجات للصفار ج ٥ ص ٢٤٦

^{٣٨} - بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٨١

^{٣٩} - الكافي ج ٢ ص ٦٣١

^{٤٠} - تفسير العياشي ج ١ ص ١٠

^{٤١} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١١ ص ٨٣

وما ذكر من آيات في الشبهة، يُحمل على هذا النحو، أي يا أهل الإسلام تفكروا وتذكروا أين كنتم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وقبل الإسلام والكتاب والایمان؟ وقد أجابت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عن هذا السؤال في خطبتها الفدكية حيث قالت: وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أدلة خاسنين صاغرين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد^{٢٢}..

والأ لو أخذنا آية: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ^{٢٣}﴾ على ظاهرها لثبت أن النبي صلى الله عليه وآله كان ظهيرا للكافرين أو أنه ممكن أن يكون ظهيرا لهم والعياذ بالله، ولو أخذنا الآية الثانية: ﴿وَمَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ^{٢٤}﴾ على ظاهرها، لنفينا أن يكون أصلا على معرفة بالایمان قبل البعثة، وهذا مما يترتب عليه الكثير من الإشكالات العقلية والنقلية حول عصمته ونبوته ووجوب إتباعه.

وقد أخطأ الكثير من المفسرين بتفسيرهم الظاهري للآية ومنهم من حاول أن يجمّل التفسير، ولكن وقعوا في نفس الخطأ بالنهاية حيث نسبوا النقص للحضرة العمدية، إلا أنه هناك من علماء المخالفين من

^{٢٢} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٩ ص ٢٢٤

^{٢٣} - القصص: ٨٦

^{٢٤} - الشورى: ٥٢

فَدَّتْ تلكَ الإشكالات وأنكرها وأكَّد عكس ما قالوه كالقاضي المالكي أبو الفضل عياض (متوفى ٥٤٤هـ):

جاء في تفسير القرطبي (متوفى ٦٧١هـ): قال القاضي أبو الفضل عياض: وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف، والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك. وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان، بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام. قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال المفسرون: أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه. قال معمر: كان ابن سنتين أو ثلاث، فقال له الصبيان: لِمَ لا تلعب! فقال: ألعب خلقت! وقيل في قوله: ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين، فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل: صدقه وهو في بطن أمه، فكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له. وقد نصَّ الله على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله: ألا تحزني على قراءة من قرأ ﴿من تحتها﴾، وعلى قول من قال: إن المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾. وقال: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلمنا وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما

اقتدى به أبوه داود. وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما. وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رَشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هديناه صغيرا، قاله مجاهد وغيره. وقال ابن عطاء: اصطفاه قبل إبداء خلقه. وقال بعضهم: لما ولد إبراهيم بعث الله إليه ملكا يأمره عن الله تعالى أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه. فقال: قد فعلت، ولم يقل أفعل، فذلك رشده. وقيل: إن إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة. وإن ابتلاء إسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين. وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمس عشرة سنة. وقيل: أوحى إلى يوسف وهو صبي عندما همّ إخوته بإلقائه في الجب بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ﴾ هذا الآية، إلى غير ذلك من أخبارهم. وقد حكى أهل السير أن أمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء، وقال في حديثه صلى الله عليه وآله وسلم: لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد. ثم يتمكن الأمر لهم، وتترادف نفحات الله تعالى عليهم، وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية، ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ مَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. قال القاضي: ولم ينقل أحد من أهل

الأخبار أن أحدا نُبئَ واصطفيَ ممّن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك. ومستند هذا الباب النقل. وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر ممّن كانت هذه سبيله. قال القاضي: وأنا أقول إن قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته، وعيّر كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته، ممّا نصّ الله عليه أو نقلته إلينا الرواة، ولم نجد في شيء من ذلك تعبيراً لواحد منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بزمه بترك ما كان قد جامعهم عليه. ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين، وبتلونه في معبوده محتجّين، ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أقطع وأقطع في الحجّة من توبيخه بنهيهم عن تركه آلهتهم وما كان يعبد آبائهم من قبل، ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه، إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم. الثالثة: وتكلم العلماء في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، هل كان متعبداً بدين قبل الوحي أم لا، فمنهم من منع ذلك مطلقاً وأحاله عقلاً. قالوا: لأنه يبعد أن يكون متبوعاً من عرف تابعاً، وبنوا هذا على التحسين والتقيح. وقالت فرقة أخرى: بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك، إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في أحدهما طريق النقل، وهذا مذهب أبي المعالي. وقالت فرقة ثالثة: إنه كان متعبداً بشرع من قبله وعاملاً به، ثم اختلف هؤلاء في التعيين، فذهبت طائفة إلى أنه كان على دين عيسى فإنه ناسخ لجميع الأديان والملل قبلها، فلا يجوز أن يكون النبي على دين

منسوخ. وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين إبراهيم؛ لأنه من ولده وهو أبو الأنبياء. وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين موسى؛ لأنه أقدم الأديان. وذهبت المعتزلة إلى أنه لا بد أن يكون على دين ولكن عين الدين غير معلومة عندنا. وقد أبطل هذه الأقوال كلها أئمتنا، إذ هي أقوال متعارضة وليس فيها دلالة قاطعة، وإن كان العقل يجوز ذلك كله. والذي يقطع به أنه عليه السلام لم يكن منسوباً إلى واحد من الأنبياء نسبة تقتضي أن يكون واحداً من أئمة ومخاطباً بكل شريعته، بل شريعته مستقلة بنفسها مفتوحة من عند الله الحاكم جل وعز وأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان مؤمناً بالله عز وجل، ولا سجد لصنم، ولا أشرك بالله، ولا زنى ولا شرب الخمر، ولا شهد السامر ولا حضر حلف المطر ولا حلف المطيبين، بل نزهه الله وصانه عن ذلك. فإن قيل: فقد روى عثمان بن أبي شيبة حديثاً بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدتهم، فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه: اذهب حتى تقوم خلفه، فقال الآخر: كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد؟ فالجواب أن هذا حديث أنكره الإمام أحمد بن حنبل جداً وقال: هذا موضوع أو شبيه بالموضوع. وقال الدارقطني: إن عثمان وهم في إسناده، والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه، والمعروف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفه عند أهل العلم من قوله: بغضت إليّ الأصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم باللات والعزى

إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمّه أبي طالب وهو صبيّ، ورأى فيه علامات النبوة فاختره بذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما فقال له بحيراً: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال: سل عما بدا لك. وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله إياه له أنه كان قبل نبوّته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج، وكان يقف هو بعرفة، لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام. فإن قيل: فقد قال الله تعالى: قل بل ملة إبراهيم وقال: أن اتبع ملة إبراهيم وقال: شرع لكم من الدين الآية. وهذا يقتضي أن يكون متعبداً بشرع. فالجواب أن ذلك فيما لا تختلف فيه الشرائع من التوحيد وإقامة الدين، على ما تقدم بيانه في غير موضع وفي هذه السورة عند قوله: شرع لكم من الدين والحمد لله. الرابعة: إذا تقرر هذا فاعلم أن العلماء اختلفوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ فقال جماعة: معنى الإيمان [...] وقيل: [...] قلت: الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان مؤمناً بالله عز وجل من حين نشأ إلى حين بلوغه، على ما تقدم. وقيل: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي: كنت من قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان، حتى تكون قد أخذت ما جئتهم به عن من كان يعلم ذلك منهم، وهو كقوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون﴾ روي معناه عن ابن عباس^{٤٥}.

^{٤٥} - تفسير القرطبي للآية ٥٢ من سورة الشورى

وقد وصف الحق تعالى الذين لم يكن لديهم علم الكتاب والحكمة أنهم كانوا في ضلال مبين: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^{٤٦} فإن كان الرسول قبل البعثة في زمرة الباقيين الذين لا علم لهم بالكتاب، لكان أيضا في ضلال مبين والعياذ بالله (بناءً لظاهر هذه الآية)، لذلك إن هذه الآية فرقت بين طرفين: أهل الضلال والنبي المَعْلَم؛ فمن ناحية كيف يكون مُعَلِّمًا وهو لا يعرف ما سَيُعَلِّم؟ فإن أبسط الأمثلة الحياتية تشير إلى وجوب معرفة المُعَلِّم بما سَيُعَلِّم، وأن يكون الاختيار للعالم دون الجاهل للتعليم. فهل يأتون بالحوزة أو بالجامعة، على سبيل المثال، بمُعَلِّم لا يعرف المادة التي يريد أن يُعَلِّمها، وكيف يعلمها إذا كان لا يعرفها، بل متمكن منها، ففاقد الشيء لا يعطيه... كيف والحال أننا نتكلم عن دين الله فيجدر أن يكون المُعَلِّم مُعَلِّمًا على أكمل وجه لذلك قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^{٤٧} ومن ناحية أخرى لو كان لا يعرف الكتاب لشملة الحق بما شمل به القوم في الآية قائلًا على سبيل المثال: "وإن كنتم من قبل لفي ضلال مبين"، والتفريق بينهما دليل على أنه صلى الله عليه وآله لم يكن مثلهم قبل البعثة بل كان يملك الكتاب والحكمة. ويؤيده ما وصلنا من سيرته صلى الله عليه وآله من تكلمه مع الرهبان وتوحيده وبراءته من

٤٦ - الجمعة: ٢

٤٧ - النجم: ٥

الشرك^{٤٨} وحجّه عشر حُجَج قبل البعثة^{٤٩} وصلاته والإمام علي عليه السلام والسيدة خديجة قبل البعثة وغيرها من الأمور الكثيرة.. فكيف يصلي ويحجّ.. ولم ينزل الوحي بعد بهما؟

ثم لو أثبتنا أنه صلى الله عليه وآله لم يكن على علم بالقرآن إلا بعد البعثة، لكان عيسى النبي صلى الله عليه وآله أفضل منه صلى الله عليه وآله حيث أتاه الله الكتاب والنبوة في المهد بينما أتاه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بعمر الأربعين.. وهذا خلاف ما عليه إجماع الأمة وخلاف ما صرّحت به الأخبار بأنه صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء على الإطلاق والفضل بعده للإمام علي والأئمة من ولده عليهم السلام كالحديث الذي أوردناه سابقاً، ورواية الإمام علي بن الحسين عليه السلام حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **فضلت على الخلق أجمعين وشرفت على جميع النبيين**..^{٥٠}

وهذا المضمون موجود في أحاديث المخالفين ويقرّ به علمائهم ولهم شواهدهم عليه:

^{٤٨} - روي ان بحيرا الراهب قال للنبي في سفرته الاولى مع عمه ابي طالب الى الشام : يا غلام بحق اللات والعزى الا اخبرتني عما اسألك ، فقال رسول الله صلى الله عليه واله: لا تسألني باللات والعزى فوا الله ما ابغضت شيئا بغضهما. قال الراهب: بالله الا اخبرتني عما أسألك عنه، قال صلى الله عليه واله: سألني عما بدا لك. (السيرة النبوية ج ١ ص ١٨٢)

^{٤٩} - عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: حج رسول الله صلى الله عليه واله عشر حجات مستترا في كلها. (وسائل الشيعة ج ٨ ص ٨٨)

^{٥٠} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٤ ص ٣٧٩

منها الروايات الصريحة: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ: أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَإِيَّامًا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ^{٥١}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ^{٥٢}.

ومنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم أول من يجوز الصراط من الرسل:

كحديث أبي هريرة الطويل، وفيه قوله ﷺ: [...] فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ^{٥٣}.

ومنها: أنه أول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع:

^{٥١} - صحيح البخاري: ٤٢٧ وصحيح مسلم: ٤٢١

^{٥٢} - صحيح مسلم: ٥٢٣

^{٥٣} - صحيح البخاري: ٧٧٣

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَقَّعٍ^{٥٤}.

وغيرها من الشواهد..

كما أن عيسى، أتاه الله بدايةً الكتاب دفعة واحدة في المهد، لا بالوحي التدريجي عبر مرور الزمن، ومعلوم أنّ الانجيل فيه إخبار عن أمور حصلت مع عيسى كما في القرآن أيضاً؛ فما الضير أن يكون التنزيل دفعي وتدرجي على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كذلك؟ خصوصاً وقد ورد في أخبار كثيرة: ان الله لم يعط نبياً فضيلة ولا كرامة ولا معجزة إلا وقد أعطاه نبينا صلى الله عليه وآله^{٥٥}؛ فما أعطاه الله لعيسى في المهد أعطاه للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

بل الأولى أن يكون للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله لفضله صلى الله عليه وآله على النبي عيسى.. ولعل منه الإشارة الى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^{٥٦} وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^{٥٧}.. أي يا رسول الله هذا القرآن الذي تملكه من قبل، لا تظهر آياته قبل الأحداث التي ستجري والتي تقتضي نزول الوحي..

^{٥٤} - صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٢٧٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

^{٥٥} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٨ ص ٢٧٩

^{٥٦} - طه: ١١٤

^{٥٧} - القیامة: ١٦- ١٨

خصوصاً أن هناك آيات وروايات تشير إلى أن القرآن الكريم نزل بشكل دفعي في ليلة القدر على رسول الله صلى الله عليه وآله كما صرّحت بذلك سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ^{٥٨}﴾ وسورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ^{٥٩}﴾ ثم نزل بشكل تدريجي أي بشكل متدرج مع الأحداث، وفي ذلك ما ورد في الكافي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: [...] أنزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور^{٦٠} ثم نزل في طول عشرين سنة^{٦١}. ممّا يثبت أنه ممكن للقرآن أن ينزل على النبي صلى الله عليه وآله قبل حدوث الحدث المتعلق بالآيات وقبل نزول الوحي، وبذلك ينتفي أصل المشكلة، فالله تعالى الذي يعطي نبيه القرآن بشكل دفعي قبل حدوث الحدث الذي يستدعي نزول الوحي بالآية، قادر أن يعطيه إياه في أي وقت قبل البعثة، بغض النظر هل قبل البعثة مباشرة أو عند الولادة أو قبل ذلك.. كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كنت نبيا وادم بين الماء والطين^{٦٢}. ولا يظن أحد أن مضمون هذا الحديث موجود فقط عند الشيعة، بل ورد في حديث مستفيض عند المخالفين بعبارة: كنت

^{٥٨} - القدر: ١

^{٥٩} - الدخان: ٣

^{٦٠} - قالت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: أنا البيت المعمور. (عوامل العلوم ج ١١ ص ٢٦١) كيف لا وهي قلب رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: هي قلبي وروحي التي بين جنبي. (بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٣ ص ٥٤) وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ*﴾ (الشعراء: ١٩٣ و ١٩٤)

^{٦١} - التفسير الصافي للفيض الكاشاني ج ١ ص ٦٤

^{٦٢} - عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي ج ٤ ص ١٢١

أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث^{٦٣}. وفي حديث: كنت أو جعلت نبياً وآدم بين الروح والجسد^{٦٤}. وفي حديث: إني عبد الله وخاتم النبيين وآدم لمنجدل في طينته^{٦٥}. و"النبي" هو صاحب النبأ، فأياً نبأ كان يملكه صلى الله عليه وآله قبل خلقه آدم؟!

ولو أردنا التعمق أكثر وشرحنا صدورنا أكثر لمناقب وفضائل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: ويحكم وسّعوا صدوركم ولتبصر أعينكم ولتغلق قلوبكم فنحن حجة الله تعالى في خلقه، ولن يسع ذلك إلا صدر كل مؤمن قويّ قوته كقوة جبال تهامة إلا بإذن الله^{٦٦}. فقد ورد في روايات عديدة يفهم منها أنّ القرآن هو جزء من علمهم عليهم السلام الذي أظهره:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير

^{٦٣} - كنز العمال ج ١١ ص ٤٥٢ ح ٣٢١٢٦، الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦٢، الطبقات الكبرى ج ١ ص ١١٩، الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣ ص ٢٨٢ ح ٤٨٥٠، الوفا بأحوال المصطفى ص ٣٦١، ينابيع المودة ج ١ ص ٢٢٠ و ١٨، والخصائص الكبرى ج ١ ص ٣

^{٦٤} - مجمع الزوائد ج ٨ ص ٤٠٩ ح ١٣٨٤٥ وما بعده باب قدم نبوته، ومسند أحمد ج ٤ ص ١٢٧ ح ٦٦ و ج ٥ ص ٥٩ ح ٣٧٩، والفردوس بمأثور الخطاب ج ٣ ص ٢٨٤ ح ٤٨٥٤، والأجوبة الغزالية ص ١٢٧، والشرعية ص ٤١٦، والمعجم الكبير للطبراني ج ١٨ ص ٢٥٢ و ج ٢٠ ص ٣٥٣، والوفا ص ٢٩ ح ١١، والشفاء ج ١ ص ١٧١ باب ٣، والطبقات ج ١ ص ١١٨ و ج ٧ ص ٤٢، والاستيعاب ج ٣ ص ٥١٨

^{٦٥} - تاريخ الذهبى ج ١ ص ٤٢، وكنز العمال ج ١١ ص ٤١٨ ح ٤١٩٦٠، والمعجم الكبير ج ١٨ ص ٢٥٢، وشعب الإيمان ج ٢ ص ١٣٤

^{٦٦} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٦ ص ٢٨

الحرفين، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً^{٦٧}.

فالقرآن من حرفي العلم الذين أظهروا للناس، بل جميع الكتب السماوية من الحرفين، وأقل ما يمكن أن يُقال فيما يملكه أهل البيت عليهم السلام ٢٧ حرف! فإذا كانت كل الكتب السماوية من الحرفين، فأَيُّ علم يملكون؟! وهل يُعجب بعدها كون أمير المؤمنين عليه السلام قرأ الكتب السماوية والقرآن الكريم في المهد؟

وعنه عليه السلام: ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفا غير معطوفة^{٦٨}.

فالقرآن من تلك الألف غير المعطوفة.

ومما يملكون: مصحف فاطمة سلام الله عليها وهو ثلاثة أضعاف القرآن الكريم وهو غير القرآن، فعن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام [...] وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث

^{٦٧} - مختصر بصائر الدرجات ص ١١٧

^{٦٨} - بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٥ ص ٢٨٣

مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وما هو بذاك^{٦٩}...

خلاصة القول:

إنّ التكلم بالمهد ليس بشيء غريب عن أولياء الله تعالى، وهذا ثابت بالقرآن وبكتب الفريقين، وكذلك مسألة النطق بالقرآن قبل نزول الوحي ثابت بكتب الفريقين. فما المشكلة إن كان هذا الأمر قد ورد بحق أمير المؤمنين عليه السلام وهو مستحق لذلك لعلو مقامه وعظم شأنه عن غيره ممّن أعطوا ذلك من الأنبياء؟

أما بخصوص الآيتين المذكورتين بالشبهة فلا يمكن حملهما على ما حملهما صاحب الشبهة لأنّهما بذلك تؤديان إلى ما لا يقبله العقل وما يخالف النقل، وأقلّ ما يمكن القول بحقهما أنّهما وردتا بلسان "إياك أعني واسمعي يا جارة" وبردّها إلى محكم الآيات والروايات يتّضح ذلك. ولو وسّع الموالي صدره لعلم أنّ القرآن هو جزء من علوم النبي الأعظم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله التي أظهروها للناس.

^{٦٩} - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٤٠

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم
أجمعين إلى قيام يوم الدين.

تمّ بحمد الله بتاريخ

١٧ رمضان ١٤٤٣ هـ

الموافق ١٩/٤/٢٠٢٢ م

مركز الغوث للدراسات